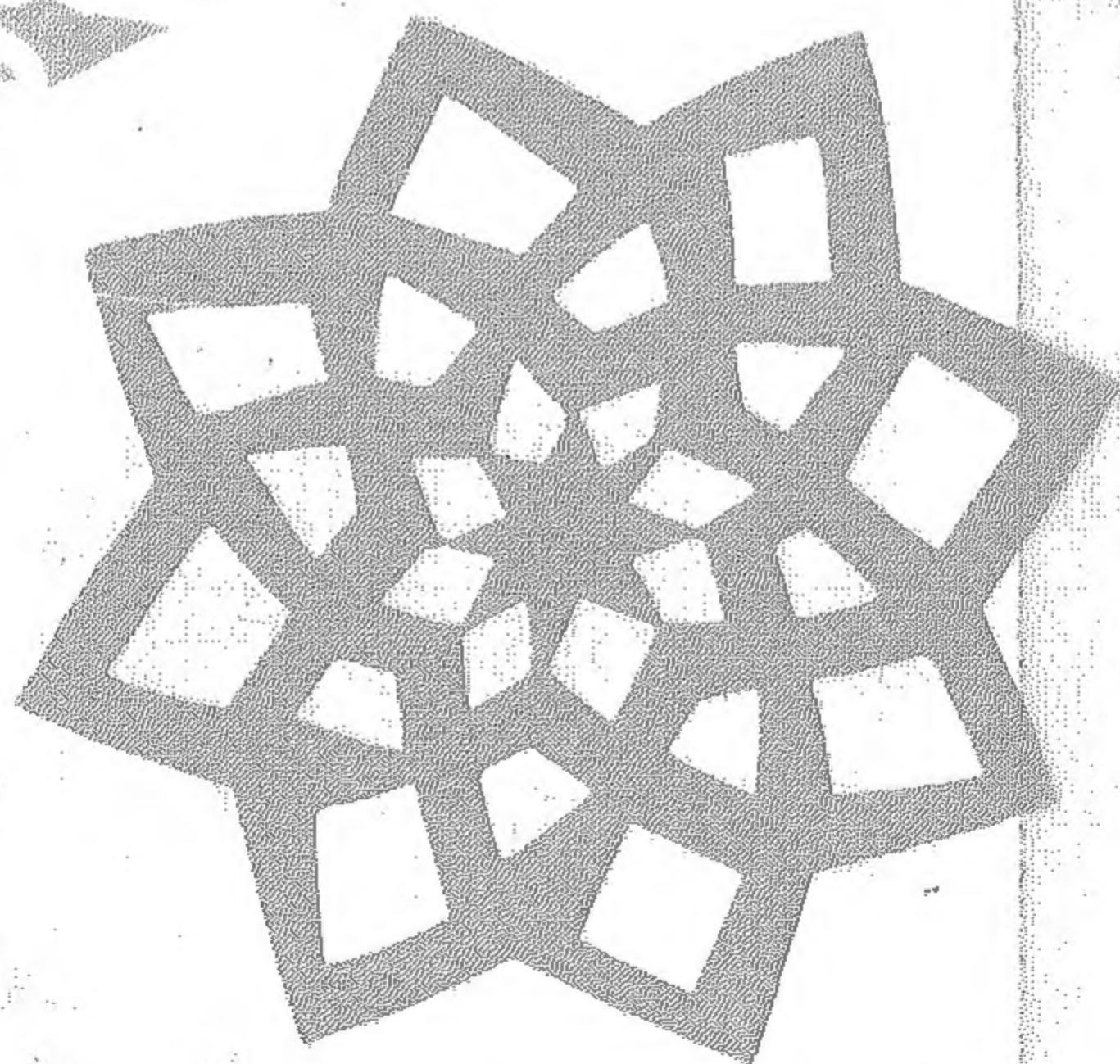
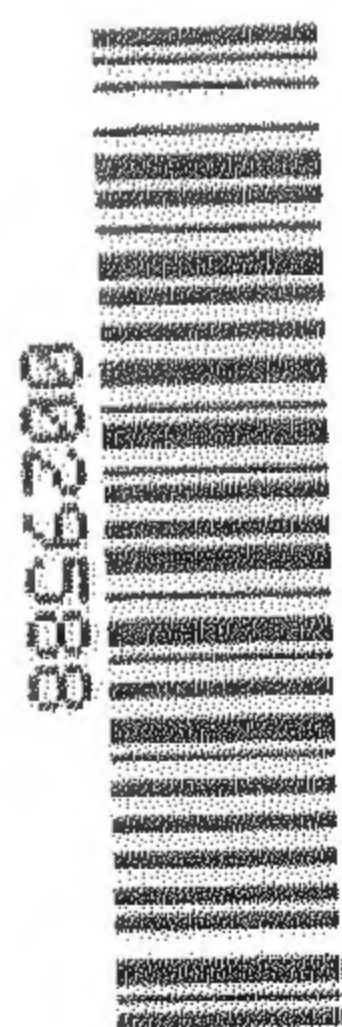


رايات الإسلام

٣



في القادسية



Bibliotheca Alexandrina

رايات الإسلام

٣

في القادسيّة

بقلم : وصفي آل وصفي

الطبعة الثانية



دار المعارف

راياتُ الإسلامِ

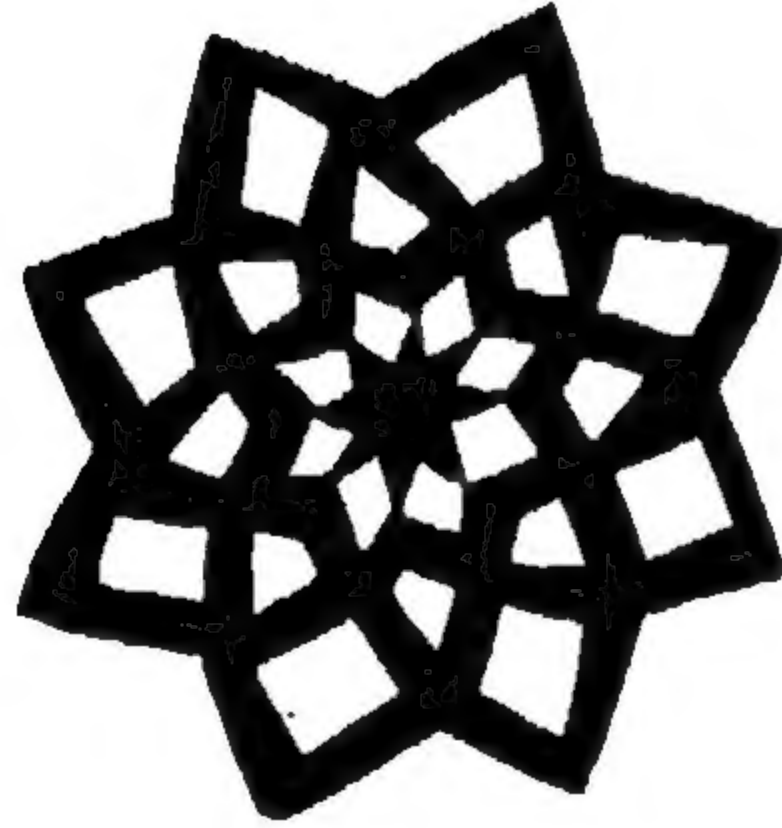
بدأ القرنُ السَّابعُ المِيلادِيُّ والعَرَبُ في شِبْهِ الْجَزِيرَةِ ضِعَافٌ
وَمُتَفَرِّقُونَ ، يَطْغَى عَلَيْهِمُ الْفُرسُ بِالْعِرَاقِ - في الشَّرْقِ . . وَالرُّومُ
بِالشَّامِ - في الشَّمالِ . .

وَبُعِثَ الرَّسُولُ ﷺ فَغَيَّرَ الْإِسْلَامُ حَيَاةَ الْعَرَبِ تَغْيِيرًا
تَامًا . . أَمَدَّهُمْ بِقُوَّةٍ حَقَّقَتِ الْمُعْجَزَاتِ ، وَجَمَعَتْهُمْ - في ظِلِّ
رَايَاتِهِ - طُمَأْنِينَةً نَفْسِيَّةً تَتَّبَعُ مِنْ سِمَاحَتِهِ . . وَحِمَاسَةً بَطُولِيَّةً
تَبْعُثُهَا فِيهِمْ أَهْدَافُهُ الْعَظِيمَةُ . .

وَكَانَتْ - « مَكَّةُ » الْمَدِينَةُ الْأُولَى في شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الَّتِي
تَمْتَدُّ حِوَالَى أَلْفِ كِيلُو مِترٍ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ . . وَمَا يَزِيدُ عَلَى
ذَلِكَ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمالِ ، لَكِنَّ هِجْرَةَ الرَّسُولِ ﷺ نَقَلَتْ
مَقَرَّ الْقِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى « يَثْرِبَ » الَّتِي أَصْبَحَتْ تُعْرَفُ بِاسْمِ
« الْمَدِينَةِ » . .

وَتُوفِيَ الرَّسُولُ في الْعَامِ الْحَادِي عَشَرَ الْهَجْرِيِّ - السَّنَةِ ٦٣٢

الميلادية - فتابع الخلفاء الراشدون بالمدينة ، ومنها سارت
رايات الإسلام لتوحد شبه الجزيرة العربية ثم انطلقت إلى
العراق والشام ومصر . . تبشر الشعوب بالتحريم ، وتزف إليها
العدل والحرية . . وتصحب المؤمنين في معارك خالدة ،
ماتزال أخبارها تروى فتشير الإعجاب لدى القادة والجنود ،
وتغرس العزة في نفوس الناشئة . .



في القادسية

١

إِنَّ مَعْرَكَةَ « الْقَادِسيَّةِ » مِنْ أَكْثَرِ الْمَعَارِكِ الَّتِي سَجَّلَهَا
التَّارِيخُ ؛ إِنَّهَا شَهَادَةٌ تُطَالِعُهَا الْأَجْيَالُ ، فَتَهْتَزُّ مَشَاعِرُهَا إِعْجَابًا
بِالشَّجَاعَةِ الَّتِي لَا يُعْرَفُ لَهَا مَثِيلٌ ، وَالْإِيمَانِ الَّذِي يَغْذُو تِلْكَ
الشَّجَاعَةَ . . .

وَالْقَادِسيَّةُ لَمْ تَكُنْ أَوَّلَ مَعَارِكِ الْعَرَبِ بِالْعِرَاقِ ، فَتَعَالَوْا
أَصْدِقَائِي نَرْجِعْ إِلَى الْوَرَاءِ قَلِيلًا . . .

بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ارْتَدَّتْ - كَمَا تَعْلَمُونَ - بَعْضُ الْعَرَبِ
مِنْ حَدِيثِي الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ . . . وَشُغِلَ « أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ » . . .
أَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ . . . بِذَلِكَ الْخَطَرِ الدَّاخِلِيِّ بَعْضَ الْوَقْتِ .
فَلَمَّا قَضَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَمَاعَاتِ الْمُرتَدِّينَ فِي « الْيَمَامَةِ » ،
بَدَأَ أَبُو بَكْرٍ يُفَكِّرُ فِي تَحْرِيرِ الْعِرَاقِ . . . وَالشَّامِ . . .

يُحرّرهما ؟ أَجَلٌ . . . فنذُ وقتٍ مبكّرٍ انتشرتِ القبائلُ العربيّةُ
في العراقِ والشّامِ ، وكانَ لها فيهما نفوذٌ يكادُ يكونُ مُستقلاً
عن الإمبراطوريّتين المجاورتين . ويحدّثنا التاريخُ كيفَ استقرّ
العربُ بالعراقِ ، وأنشئوا فيه المُدنَ ، ومنها « الحيرةُ » التي
اتّخذوها عاصمةً لدولتهم أربعةَ قُرونٍ . . من القرنِ الثّالثِ
الميلاديّ إلى القرنِ السّابعِ . وفي القرنِ السّابعِ تمكّنَ الفُرسُ
من القضاءِ على الحُكمِ العربيّ في الحيرةِ ، وأقاموا عليها
حُكّاماً من قبيلهم . .

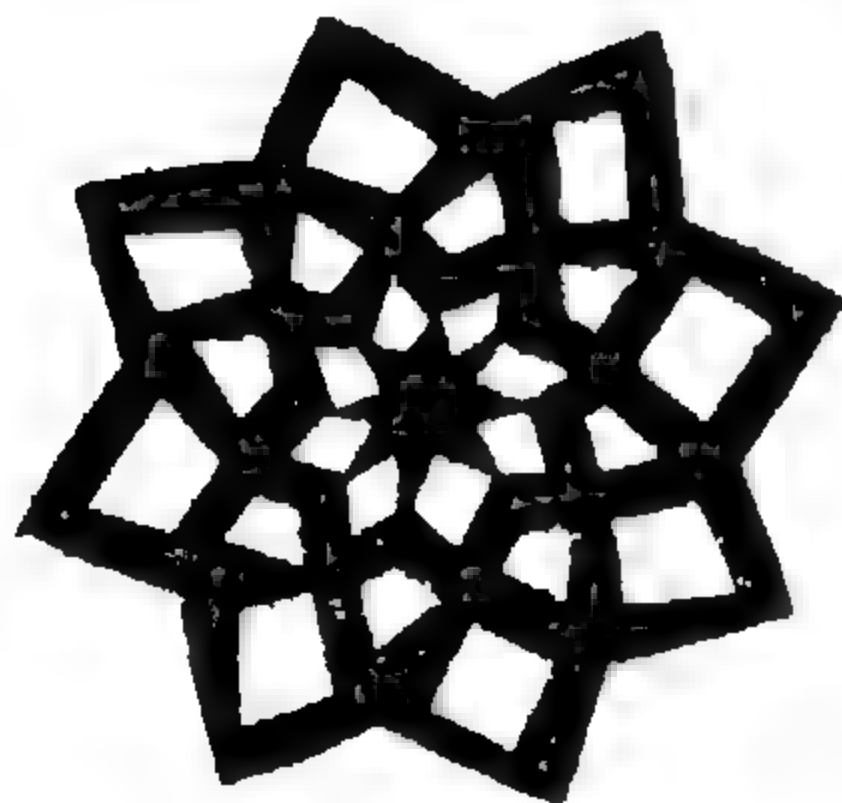
وبينما أبو بكرٍ يُفكّرُ ليُقرّرَ : أيُّ البلدينِ يبدأُ بتحريره :
العراقِ . . أمِ الشّامِ - جاءتهُ الأنباءُ بزحفِ المُثنى إلى
العراقِ . . ثم جاء المُثنى نفسه إلى المدينة !
« والمُثنى بنُ حارثةَ الشّيبانيُّ » سيّدٌ من بني بكرٍ أهلِ
« البحرينِ » ، وكانَ له دورٌ هامٌ في قتالِ المُرتدّين فلما انتهت
حُرُوبُ الرّدةِ سارَ برجاله على ساحلِ « الخليجِ العربيّ » حتّى
بلغَ مَصَبَّ « دجلةَ » و « الفُراتِ » ، وطردَ الحامياتِ الفارسيّةَ
من الجهاتِ المُجاورة . .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَعِذُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ
الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ
مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا
مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

وتعاهد المثنى والقبائل الساكنة بين النهرين ، ثم أسرع
إلى المدينة يطلب من الخليفة أن يبارك ما أقدم عليه ، ويأذن
له في إتمام مابدأه ..

واستشار الصديق « الصحابة » ثم عقد للمثنى لواء القيادة
على القوات التي سارت معه من البحرين .. وعقد لواء
القيادة العامة لـ « خالد بن الوليد » ! وهكذا بدأ تحرير
العراق ..



سار خالدٌ ، ومعَه المثنى ، إلى الخَلِيجِ العَرَبِيِّ . .
 وَهُنَاكَ - بِالْقُرْبِ مِنْ عَيْنِ الْمَاءِ الْمُجَاوِرَةِ لِبَلَدَةِ « الْحَفِيرِ » -
 التَّقَى الْجَيْشُ الْعَرَبِيُّ وَالْجَيْشُ الْفَارِسِيُّ ، وَعَلَى رَأْسِهِ
 « هُرْمَزٌ » .

كَانَ هُرْمَزٌ حَاكِمُ الْمِنْطَقَةِ - مِنْ كِبَارِ الْأُمَرَاءِ الْفُرسِ ،
 وَكَانَ مِنْ أَسْوَأِ الْحُكَّامِ وَأَشَدَّهُمْ قَسْوَةً . . حَتَّى لَقَدْ ضَرَبَ
 الْعَرَبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْخُبَثِ فَقَالُوا : « أَخْبَثُ مِنْ هُرْمَزٍ » . .
 وَ« أَكْفَرُ مِنْ هُرْمَزٍ » !

بَعَثَ خَالِدٌ إِلَى هُرْمَزٍ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَبَى
 وَاسْتَكْبَرَ . وَقَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ الْقِتَالَ نَادَى هُرْمَزٌ خَالِدًا أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ
 وَيُبَارِزَهُ ، بَعْدَ أَنْ اتَّفَقَ مَعَ عِصَابَةٍ مِنْ فُرسَانِهِ أَنْ يَنْتَظِرُوا حَتَّى
 يَقْتَرِبَ الْقَائِدُ الْعَرَبِيُّ ثُمَّ يَنْقَضُوا عَلَيْهِ وَيَغْتَالُوهُ ! غَيْرَ أَنَّ فَارِسًا
 مِنَ الْعَرَبِ تَنَبَّهَ لِلْحِيلَةِ ، فَتَصَدَّى لِعِصَابَةِ الْاِغْتِيَالِ فِي الْوَقْتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ
الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَلِيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
وَلِيُمَخِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيُمِيزَ الْكَافِرِينَ

المُناسب ، عَلَى حِينِ كَانَ خَالِدٌ يَصْرَعُ هُرْمُرًا !
وَهَجَمَ الْمُسْلِمُونَ ، فَأَنْهَزَمَ الْفُرْسُ أَمَامَهُمْ . .
وَاتَّصَلَتِ الْمَعَارِكُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْصُرُ جُنُودَهُ ،
فَيَفْتَحُونَ « أَلَيْسَ » عَلَى نَهْرِ الْفُرَاتِ . . ثُمَّ يَسِيرُونَ إِلَى
الْحِيرَةِ ، فَيَدْخُلُونَهَا بَعْدَ حَصَارٍ ، وَيَتَّخِذُونَهَا مَرْكَزًا لِلْقِيَادَةِ .
وَإِذَا بِالْخَلِيفَةِ يَأْمُرُ خَالِدًا بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الشَّامِ !

لِمَاذَا ؟

لَأَنَّ الرُّومَ الَّذِينَ كَانُوا يُتَابِعُونَ الْأَنْتِصَارَاتِ الْعَرَبِيَّةَ فِي
الْعِرَاقِ قَرَّرُوا أَنْ يَبْدَءُوا الصَّرَاعَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغُوا
مِنْ قِتَالِ الْفُرْسِ ، وَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَسْتَدْرِجُوا الْقُوَّةَ الْعَرَبِيَّةَ
الْمُرَابِطَةَ عَلَى حُدُودِ الشَّامِ ، وَأَحَاطُوا بِهَا قُرْبَ « دِمَشْقَ »
وَكَبَّدُوهَا خَسَائِرَ كَبِيرَةً . . وَسَيَّرَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الشَّامِ خَمْسَةَ
جُيُوشٍ بَلَغَ مَجْمُوعُهَا أَرْبَعَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، وَحَدَّدَ لِكُلِّ
جَيْشٍ مِنْهَا هَدَفًا يَتَّجِهُ إِلَيْهِ . . فَأَحَسَّ الرُّومُ خُطُورَةَ الْمَوْقِفِ ،
وَحَشَدُوا فِي مُوَاجَهَةِ الْمُسْلِمِينَ مِائَتِينَ وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ
جُنُودِهِمْ !

عِنْدِيذٍ قَرَّرَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَوَلَّى الْقِيَادَةَ فِي الشَّامِ فَارْسٌ لَمْ
يَعْرِفِ الْهَزِيمَةَ قَطُّ ، وَقَالَ عِبَارَتُهُ الْمَشْهُورَةُ : « وَاللَّهِ لَأُنْسِينَ
الرُّومَ وَسَاوِسَ الشَّيْطَانِ بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ! » . .

وسارَ خَالِدٌ إِلَى الشَّامِ بِقِسْمٍ مِنَ الْقَوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي فِي
الْعِرَاقِ ، وَتَرَكَ الْمُشَنَّى يُوَاجِهُ جِيوشَ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الْفَارْسِيَّةِ
بِالْقِسْمِ الْبَاقِي ، وَعَدَدُهُ لَا يَتَجَاوَزُ عَشْرَةَ آلَافٍ . وَمَعَ ذَلِكَ
تَمَكَّنَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْإِنْتِصَارِ عَلَى الْفُرسِ فِي عَدِيدٍ مِنَ الْمَوَاقِعِ ،
وَأَوْشَكُوا أَنْ يَبْلُغُوا عَاصِمَةَ الْفُرسِ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي الْعِرَاقِ :
« الْمَدَائِنَ » !

لَكِنَّ الْفُرسَ شَرَعُوا يُجَنِّدُونَ جَيْشًا ضَخْمًا ، فَرَأَى الْمُشَنَّى
أَنْ يَنْسَحِبَ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى لَا يُطْبِقَ الْفُرسُ عَلَى قُوَّاتِهِ
الصَّغِيرَةِ . وَأَسْرَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَشْرَحُ الْمَوْقِفَ لِلْخَلِيفَةِ ، وَيَطْلُبُ
مِنْهُ الْمَدَدَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُقْبِلًا عَلَى لِقَاءِ رَبِّهِ ، فَأَوْصَى عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابِ بِأَنْ يُجِيبَ طَلِبَ الْمُشَنَّى . .

وَتُوفِيَ أَبُو بَكْرٍ ، وَآلَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ،
فَبَعَثَ « أَبَا عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ » قَائِدًا عَامًّا لِلْمُسْلِمِينَ بِالْعِرَاقِ . .

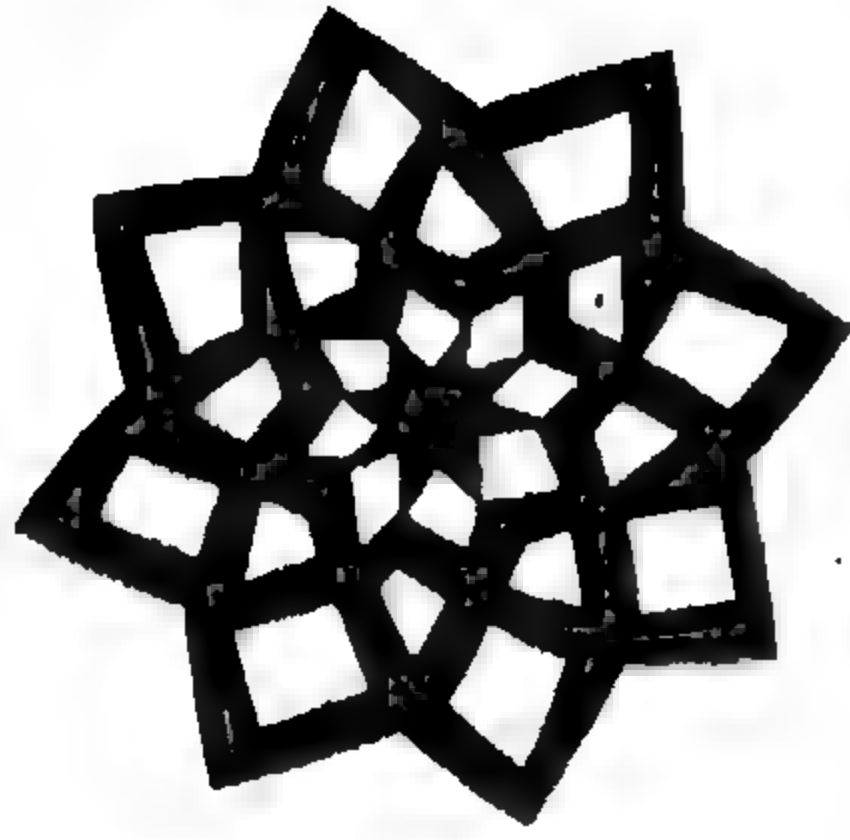
ثم دارت بين العرب والفرس معركة « الجسر » التي
سُميت كذلك نسبةً إلى الجسر الذي أقامه العرب من الزوارق ،
وعبروا فوقه الفرات لملاقاة الفرس على ضفته الشرقية .
واستشهد في هذه المعركة عدد كبير من المسلمين ، فقد
هاجمهم الفرس غدرًا قبل أن يتم عبورهم ، وقدّموا الفيلة
فأرعبت الخيول العربية ودفعتها إلى الفرار . .

واستشهد أبو عبيد الثقفي ، ومعاونوه ، فاضطرب العرب
وأرادوا الانسحاب إلى غرب الفرات . . إلا أن واحداً منهم
قطع رباط الزوارق الأولى من الجسر ليرغمهم على الثبات
والقتال !

وتكاثرت الفرس على المسلمين ، فارتفع عدد القتلى
والجرحى . .

ولم يُنقذ الموقف غير المثنى الذي أمر بإصلاح الجسر ،
ووقف يُقاتل في بطولة فدائية ، ويحمي الرجال وهم يعبرون
وأصابه رمح بجرح ، لكنه لم يهتم بالألم . . وثبت في موقفه

يُدافعُ عن رأسِ الجِسْرِ حتَّى عبَرَ المُسلمونَ جميعاً . .
ولم يلبثِ المثنى أن تُوفِّي متأثراً بالجُرحِ الذي أصيبَ به في
هذه المعركة !



بلغت الأنباء المدينة فأقلقت الخسائر التي أصيب بها
المسلمون في موقعة الجسر عمر بن الخطاب قلقاً شديداً جعله
يفكر في المسير إلى العراق ، ليقود المجاهدين بنفسه ، لكن
الصحابة أشاروا عليه أن يسند هذه المهمة إلى قائد مشهود له
هو « سعد بن أبي وقاص » .

وسعد بن أبي وقاص بطل معروف ، نشأ بعيداً عن اللهو ،
وشغل طفولته وشبابه بإتقان صناعة من الصناعات الحربية الهامة
في زمانه : برى السهام .

وأسلم وعمره سبعة عشر عاماً . .

وفي معركة « أحد » وقف سعد يدافع عن الرسول ،
ﷺ ، ويرمي الكفار بألف سهم فلا يخطئ هدفه مرة
واحدة . . والرسول يباركه ويشجعه قائلاً : ارم سعد . . فذاك
أبى وأمى !

وكان يَجْمَعُهُ والرسولَ ، ﷺ ، صِلَةُ النَّسَبِ ، والرسولُ
 يَخْتَصِرُ التَّعْبِيرَ عَنْ تِلْكَ الصَّلَةِ فَيَدْعُوهُ « خَالِي » !
 عَقَدَ الْخَلِيفَةُ لِسَعْدٍ إِمْرَةً الْجَيْشِ ، فَقَادَ سَعْدٌ رِجَالَهُ حَتَّى
 أَتَى « الْقَادِسِيَّةَ » ، وَأَقَامَ مُعَسَّكَرَهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ فَرْعٍ صَغِيرٍ مِنْ
 الْفُرَاتِ يُدْعَى « الْعَتِيقَ » . . . وَمِنْ هُنَاكَ رَاحَ يُرْسِلُ الْحَمَلَاتِ
 لِتَشُنَّ الْغَارَاتِ عَلَى الْحَامِيَّاتِ الْفَارَسِيَّةِ فِي الْمَنَاطِقِ الْمُجَاوِرَةِ .
 وَبَعَثَ وَفْدًا إِلَى « يَزْدَجَرْدَ » . . . كِسْرَى الْفُرسِ . . . يَدْعُوهُ إِلَى
 الْإِسْلَامِ ، إِلَّا أَنَّ يَزْدَجَرْدَ لَمْ يَشْرَحِ اللَّهَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ . .
 فَاسْتَقْبَلَ رِجَالُ الْوَفْدِ اسْتِقبالًا خَشِنًا ، وَهَدَّدَهُمْ بِأَنَّ قَائِدَهُ
 « رُسْتَمَ » سَوْفَ يَدْفِنُهُمْ جَمِيعًا فِي خَنْدَقِ الْقَادِسِيَّةِ !
 وَأَرَادَ أَنْ يُهَيِّنَهُمْ ، فَسَأَلَ عَنْ أَشْرَفِهِمْ ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُوضَعَ فِي
 عُنُقِهِ حِمْلٌ مِنَ التُّرَابِ غَيْرَ أَنَّ الرِّجَالَ عَادُوا إِلَى سَعْدٍ فَرَحِينِ
 مُسْتَبْشِرِينَ يَقُولُونَ لَهُ : أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانَا كِسْرَى تُرَابَ
 أَرْضِهِ !

وَكَانَ رُسْتَمُ يَعْرِفُ قُوَّةَ الْعَرَبِ وَشِدَّتَهُمْ فِي الْحَرْبِ ،
 وَيَتَمَنَّى أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَى طَرِيقَةٍ تَصْرِفُهُمْ عَنْ قِتَالِهِ . . فَسَأَلَ سَعْدًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

أَنْ يُوَفَّدَ إِلَيْهِ رَسُولًا يَنَاقِشُهُ وَيَعْرِفُ مِنْهُ مَطَالِبَ الْعَرَبِ . وَلَمْ
تَكُنْ مَطَالِبُ الْعَرَبِ كَثِيرَةً ، أَوْ غَرِيبَةً ، فَالْإِسْلَامُ يُنْهِي كُلَّ
خِلَافٍ بَيْنَهُمْ وَيُبَيِّنُ غَيْرَهُمْ مِنَ الشُّعُوبِ . . . وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ تِلْكَ
الشُّعُوبِ أَصْبَحَ لَهُمْ أَخًا فِي الدِّينِ ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا ،
وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ . وَمَنْ يَدْفَعِ « الْجَزِيَّةَ » يَدْخُلُ فِي ذِمَّةِ
الْمُسْلِمِينَ ، فَيُدَافِعُوا عَنْهُ وَيَحْفَظُوا عَهْدَهُ . .

هل يَقْبَلُ رُسُتَمُ الْإِسْلَامِ ؟

هل يَرْضَى بِدَفْعِ الْجَزِيَّةِ ؟

لا هَذَا ، وَلَا ذَاكَ ! . .

لَا يَبْقَى لِلْعَرَبِ إِذْنٌ إِلَّا أَنْ يُقَاتِلُوهُ !

وَيَسْمَعُ رُسُتَمُ كَلِمَاتِ الرَّسُولِ ، فَيَغْضَبُ وَيُسِيءُ خِطَابَهُ ،

ثُمَّ يَعُودُ فَيَطْلُبُ رَسُولًا آخَرَ . . . مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ . .

وَفِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ بَلَغَ الْغَضَبُ بِهِ حَدًّا جَعَلَهُ يَفْقِدُ صَوَابَهُ ،

وَيُصْبِحُ مُتَوَعِّدًا :

- وَالشَّمْسُ لَا يَرْتَفِعُ لَكُمْ الصُّبْحُ غَدًا حَتَّى أَقْتُلَكُمْ

أَجْمَعِينَ !

أصابَ المَرَضُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَأَقْعَدَهُ عَنِ
 الْحَرَكَةِ ، فَكَانَ يُدَبِّرُ أُمُورَ جُنُودِهِ وَهُوَ رَاقِدٌ فِي الْفِرَاشِ . فَلَمَّا
 رَفَضَ يَزْدَجَرْدُ وَقَائِدَهُ رُسْتَمَ دَعْوَةَ السَّلَامِ الَّتِي وَجَّهَهَا الْمُسْلِمُونَ
 إِلَيْهَا ، وَلَمْ يَعُدْ مَفَرٌّ مِنَ الْقِتَالِ خَشِيَ سَعْدٌ أَنْ يَظُنَّ الْجُنُودُ
 احْتِجَابَهُ تَهَاوُنًا أَوْ تَخَاذُلًا . . . فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَحْمِلُوهُ لِيُشْرِفَ
 عَلَى الْجَيْشِ وَيَرَاهُ الْجَمِيعُ فَيَعْرِفُوا أَنَّ السَّبَبَ فِي غَيْبَتِهِ عَنِ
 الْمَيْدَانِ هُوَ الْمَرَضُ حَقًّا .

وَبَدَأَ الاسْتِعْدَادُ لِلْمَعْرَكَةِ . . .

كَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ تَحْتَ قِيَادَةِ سَعْدٍ وَأَصْحَابِهِ ثَمَانِيَةً
 وَعِشْرِينَ أَلْفَ مُجَاهِدٍ ، عَلَى حِينِ بَلَغَ مَجْمُوعُ الْجَيْشِ
 الْفَارِسِيِّ تَحْتَ قِيَادَةِ رُسْتَمَ مِائَةَ أَلْفِ جُنْدِيٍّ - وَأَقْبَلَ الْفُرسُ
 مِنَ الشَّرْقِ ، فَتَرَكَهُمْ سَعْدٌ يَعْبُرُونَ الْعَتِيقَ ، وَبَقِيَ فِي مَوْقِعِهِ
 الَّذِي اخْتَارَهُ مِنْ قَبْلُ . . . يَحْمِيهِ مِنَ الْخَلْفِ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ كَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفَرِحْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يُاتِكُمْ مَثَلُ
الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَاسَاءُ
وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ إِلَّا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ

الفرسُ قد حَفَرُوهُ لِيَصُدُّوا هُجُومَ الْبَدُو عَلَى الْعِرَاقِ . .
وَمَنْعَ سَعْدٍ جُنُودَهُ مِنَ الْقِتَالِ إِلَى أَنْ أَقَامُوا صَلَاةَ الظُّهْرِ ،
لِتَتَقَوَّى بِالصَّلَاةِ نَفُوسُهُمْ وَتَشْتَدَّ عَزِيمَتُهُمْ . .

وَلَمْ يَعُقِ الْمَرَضُ بَطَلَ أَحَدٍ عَنِ الْوَفَاءِ بِوَاجِبَاتِ الْقِيَادَةِ ،
فَقَدْ طَلَبَ مِنْ رَجَالِهِ أَنْ يَحْمِلُوهُ إِلَى سَطْحِ الْحِصْنِ الَّذِي كَانَ
يُقِيمُ بِهِ . . وَمِنْ هُنَاكَ أَطْلَّ يُتَابِعُ الْمَعْرَكَةَ ، وَيُصْدِرُ أَوَامِرَهُ إِلَى
وَاحِدٍ مِنْ رَجَالِهِ يَقِفُ تَحْتَ الْحِصْنِ ، فَيُسْرِعُ الرَّجُلُ بِإِبْلَاغِهَا
إِلَى الْمُكَلَّفِينَ بِأَدَائِهَا . .

وَهَجَمَ الْفُرْسُ ، تَتَقَدَّمُهُمُ الْفِيلَةُ فَتُرْهِبُ الْخُيُولَ الْعَرَبِيَّةَ . .
وَتَضْرِبُ الْفُرْسَانَ بِخَرَاطِيمِهَا ، وَتَدُوسُ مَنْ يَعْتَرِضُ طَرِيقَهَا .
وَشَاهَدَ سَعْدٌ هُجُومَ الْفِيلَةِ يَشْتَدُّ عَلَى إِحْدَى الْفِرَقِ ، فَأُصْدِرَ
الْأَمْرَ بِنَجْدَتِهَا ، وَاسْتَشَارَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ قَائِدًا مِنْ قَوَادِهِ
صَاحِبَ خَبْرَةٍ وَتَجَرِبَةٍ . . هُوَ «عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو التَّمِيمِيِّ» . .

فَكَلَّفَ عَاصِمُ الرُّمَاءَ إِسْقَاطَ الْفُرْسِ مِنْ فَوْقِ الْفِيلَةِ . فَلَمَّا
تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ حَوَّلُوا سِهَامَهُمْ إِلَى عُيُونِ الْفِيلَةِ الَّتِي وَلَّتْ هَارِبَةً

وهي تصيحُ من شِدَّةِ الألمِ ، وحَطَّمتِ الصَّناديقَ المشدودةَ فوقها ليَحْتَمِيَ بها الجنودُ . .

واستمرَّ القتالُ إلى أنْ فصلَ اللَّيلُ بينَ الجيَّشينِ . .
وفي اليومِ الثَّاني أَقبلَ « القَعْقَاعُ بنُ عَمْرِو التَّمِيمِيُّ » . .
كَانَ القَعْقَاعُ يَقُودُ كَتِيبَةً مِنْ أَلْفِ فَارِسٍ ، انْطَلَقُوا مِنْ
الشَّامِ طَلِيعَةً لِفِرْقَةٍ أَمَرَ الخَلِيفَةُ بِمَسِيرِهَا إِلَى الْعِرَاقِ مَدَدًا لَجَيْشِ
سَعْدٍ . وعندما اقْتَرَبَ مِنْ مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ قَسَمَ القَعْقَاعُ كَتِيبَتَهُ
عَشْرَ سَرَايَا ، أَخَذَتْ تَتَقَدَّمُ وَاحِدَةً بَعْدَ الأُخْرَى ، لِيَكُونَ فِي
تَتَابُعٍ وَصُولُهَا مَا يُوحِي لِلْعَرَبِ وَالْفُرسِ جَمِيعاً بِأَنَّ النُّجْدَةَ الآتِيَةَ
كَبِيرَةٌ !

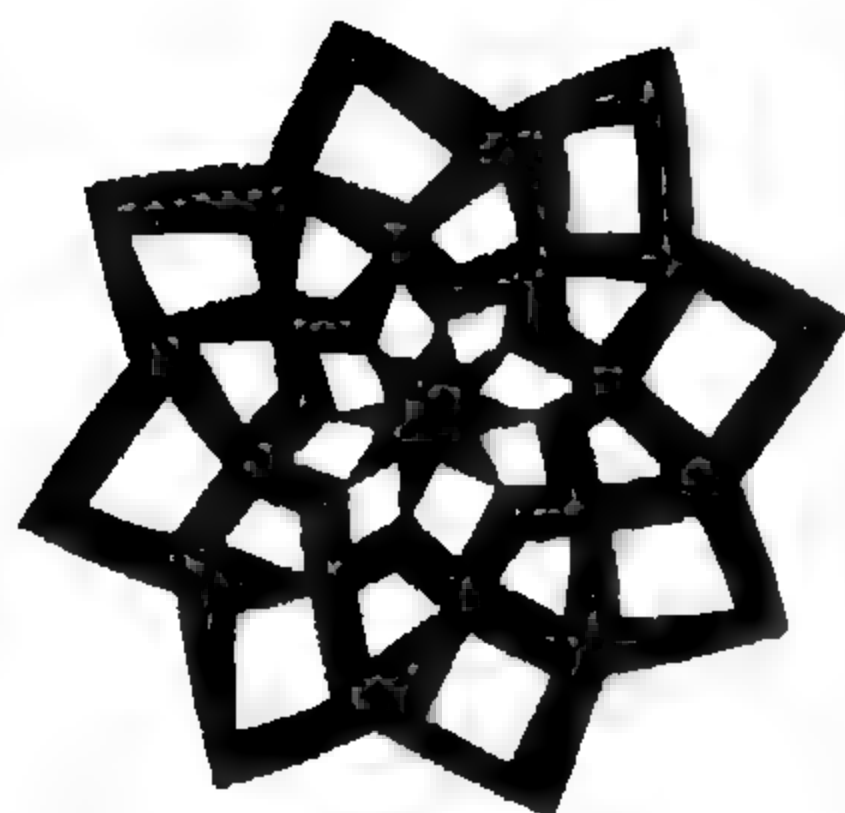
وارْتَفَعَتْ رُوحُ الْعَرَبِ المَعْنَوِيَّةُ وَهُمْ يَرَوْنَ القَعْقَاعَ يَخْتَرِقُ
الصُّفُوفَ لِيُبَارِزَ قَائِداً فَارِسِيّاً وَيَضْرَعَهُ ، ثُمَّ زَادَ تَكْبِيرُ السَّرَايَا
حِمَاسَتَهُمْ ، فَهَجَمُوا عَلَى الْفُرسِ هُجُوماً شَدِيداً وَمَزَّقُوا
صُفُوفَهُمْ . .

وَلَمْ تَشْرِكِ الفِيلَةُ فِي المَعْرَكَةِ ذَلِكَ اليَوْمِ ، لِأَنَّ الْفُرسَ لَمْ
يَتِمَكَّنُوا بِاللَّيْلِ مِنْ إِصْلَاحِ التَّلَفِ الَّذِي أَصَابَ صَنَادِيقَهَا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ
وَلِتُظْمِنَ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ
إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

أَمَّا الْعَرَبُ فَقَدْ أَلْبَسُوا إِبِلَهُمُ الْبَرَاقِعَ ، فَأَزَعَجَ مَنَظَرُهَا خَيْلَ
الْفُرسِ ، وَجَعَلَهَا تَنْفِرُ بِرُكَّابِهَا ، وَتُشِيعُ الاضطرابَ حَوْلَهَا !
وَاتَّصَلَ الْقِتَالُ إِلَى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ . .



وفي اليوم الثالث تمّ النصر للعرب .
أشرقت الشمس ، ووقف الفريقان يستعدّان ، وإذا بالفرقة
التي خرجت من الشام مدداً لجيش سعد تصل إلى موقع
القتال . . ويرتفع تكبير رجالها ، فيكبر لتكبيرهم جيش
العراق . .

وبدأت المعركة . .

قدم الفرس الفيلة مرة أخرى بعد أن أصلحوا صناديقها ،
وأحاطوها بالفرسان للدفاع عنها . وكان على رأس الفيلة فيلان
ضخمان ، واحد أبيض والآخر أجرب ، والفيلة جميعها
تتبعها . فشق عاصم والقعقاع طريقهما إلى الفيل الأبيض وطعناه
في عينه ، وفي الوقت نفسه كان فارسان عربيان آخران يفعلان
فعلهما بالفيل الأجرب . وانسحب الفرسان العرب بسرعة تاركين
الفيل الأبيض يتخبط في دمايته والفيل الأجرب يصرخ مندفعاً



إلى العتيق فيعبّره هارباً ومن ورائه بقية الفيلة !
وانتهز العرب الفرصة فشَنُّوا هُجوماً قوياً على الفُرس ، إلا
أنَّ الفُرسَ كانوا أكثرَ عدداً . . وظلُّوا يُقاتِلون بشراسةٍ . .

فاستمرَّت المعركةُ إلى صباحِ اليومِ التَّالى !
وأخيراً هبَّت رِيحٌ شديدةٌ فأطارتِ مِظْلَةٌ رُسُتَمَ عن سَريره
ورمَتْها فى العتيق ، وكان رُسُتَمُ يجلسُ على سَريره كعادةِ القُوادِ
الفُرسِ . . فحمَّسَ القَعَقاعُ جنودَهُ وزحفَ بهم إليه . وركبَ
الفَزَعُ رُسُتَمَ ، فأسرَعَ إلى العتيق يُريدُ أن يعبّره ، إلا أن فارساً
عربياً رآه فَتَزَلَّ الماءَ وراءَهُ وقتلَهُ . . ورجعَ يَصيحُ قائلاً :
- قتلْتُ رُسُتَمَ وَرَبَّ الكَعْبَةِ !

وعَلِمَ الفُرسُ بِمَقْتَلِ قائِدهم فأنهارت عَزِيمَتُهُم وشرَعُوا فى
الانسحاب . .

وطارَدَهُم العربُ ، وأَسْرُوا مِنْهُم عدداً كبيراً ، واستولُوا
على غنائِمَ تَفُوقُ قيمَتُها المِليونينِ مِنَ الدَّارِهِم . وكانَ من بَيْنِ
ما استولُوا عليه عَلمُ الفُرسِ الأَكْبَرُ ، وقد صَنَعُوهُ من جِلْدِ
النَّمِرِ ، وعدُّوهُ رَمَماً لِلنَّصْرِ لا يُغْلَبُونَ وَهَم يَرَفَعُونَهُ !

وهكذا انتهت معركة القادسية بهزيمة الفرس ، لم يُنقذهم
منها غرور رستم الذي أقسم بالشَّمس أن يقتل العرب
أجمعين . . ولم يَحْمِهم علمهم الأكبر ! .

تمَّ ذلك في يومٍ عظيمٍ من أيام العرب الخالدة في العام
٦٣٦ الميلادي . .

وبعث سعدٌ رسولاً يُشِيرُ الخليفة بالنصر ، فمرَّ الرسولُ في
طريقه إلى المدينة بأمر المؤمنين ، وكان عمرُ بنُ الخطاب قد سارَ
إلى خارجِ المدينة يَتَنَظَّرُ الأخبارَ ، فلما لَقِيَ الرسولَ سألهُ عن
مَقْصِدِهِ ، ولم يعرفِ الرسولُ عمرَ ، فأجابه قائلاً : إنه رسولُ
سعدِ بنِ أبي وقاصٍ إلى خليفة رسولِ الله ، ﷺ . . ثمَّ
استحثَّ ناقته إلى المدينة . .

وجرى عمرُ بنُ الخطاب وراء الرجلِ لِسأله عن نتيجة
المعركة !

قال الرجلُ لعمر :

— لقد هزم الله المشركين !

وأُسْرِعَ في طريقه . .

وفي المدينة يعرف الرجل أن الذي كان يجري وراء ناقته
هو عمر، فيستولي عليه الخجل . . والخوف . .
عندئذ يقول له عمر مطمئناً :

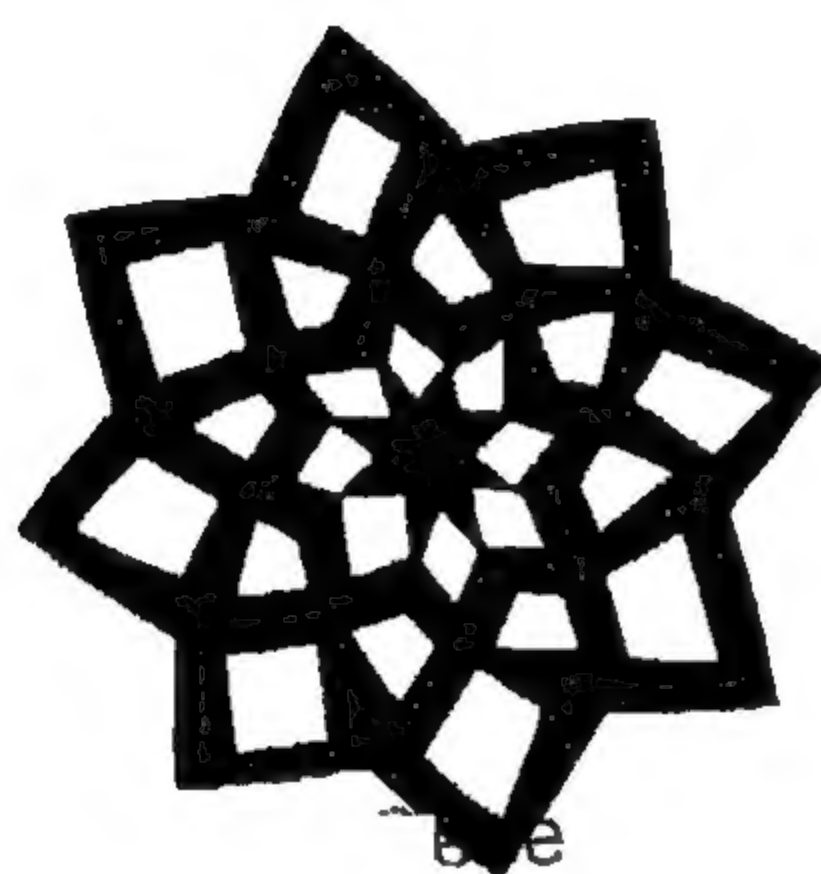
— لا بأس عليك يا أخي ، فإنما نحن إخوة . . وإنما كان
يهمني ما جئت به . .

ويأخذ في سؤاله عن تفاصيل المعركة . .

ويطمئن عمر بن الخطاب إلى أن النصر كان حاسماً ، وأن
رايات الإسلام أصبحت ترفرف على دولة قوية تضم العراق
والشام إلى شبه الجزيرة العربية . .

فليسترح المجاهدون إذن ، وليشرعوا في بناء المدن
الإسلامية بالعراق : الكوفة . . والبصرة وغيرهما . .
ولكن ليكنوا دائماً على أتم استعداد . . فمن يدري ؟
ربما وسوس للفرس أو الروم — شياطينهم . . وحفزهم
الكبر والغرور إلى تهديد الدولة الإسلامية !

عِنْدَئِذٍ تَجْرِي الْخَيْلُ بِالْمُجَاهِدِينَ مِنْ جَدِيدٍ ، تَحْمِلُهُمْ مَرَّةً
أُخْرَى إِلَى مَيَادِينِ الْقِتَالِ . . مَيَادِينِ الْبُطُولَةِ . . وَتَعُودُ رَايَاتُ
الْإِسْلَامِ تَتَقَدَّمُ لِتُفْرِفَ عَلَى بِلَادٍ جَدِيدَةٍ !



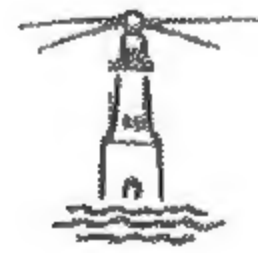
١٩٩١ / ٣٦١٢	رقم الإيداع
ISBN 977-02-3254-8	الترقيم الدولي

١ / ٩١ / ٧٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

آيات السلام

- ١ - فى اليمامة
- ٢ - فى اليرموك
- ٣ - فى القادسية
- ٤ - فى عين شمس
- ٥ - فى نهاوند
- ٦ - فى ذات الصوارى
- ٧ - فى المغرب
- ٨ - فى الأندلس
- ٩ - فى حطين
- ١٠ - فى المنصورة
- ١١ - فى عين جالوت



دارالمهارف